



## فُصُولٌ فِي الْعَقِيدَةِ

# كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

# فُصُولٌ فِي الْعَقِيدَةِ

(الرِّسَالَةُ الشَّامِيَّةُ)

تأليف

عبد العزيز بن مَرْزُوقِ الطَّرِيفِيِّ

دار المنهاج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمدُ لله المُستحقُّ للحمْدِ كلِّه، لا تُخصَى  
مَحَامِدُهُ ولا يُخصَى حَمْدُهُ، له الفضلُ كلُّه أوَّلُهُ  
وآخِرُهُ.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ هو وحدهُ لا ندَّ له  
ولا نظير، ولا شريكَ له ولا مِثيل.

وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبْدُهُ ورسولُهُ، صَلَّى اللهُ  
عليه وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسلَّم.

أَمَّا بَعْدُ:

فهذه:

«عَقِيْدَةٌ مُخْتَصِرَةٌ»

قَيَّدْتُهَا لِأَهْلِ الشَّامِ، وَهُمْ يَرِثُونَ أَرْضَهُمْ

وَدِيَارَهُمْ، بَعْدَ اسْتِعْمَارِ النَّصَارَى، ثُمَّ طَوَائِفِ  
الْبَاطِنِيَّةِ لَهَا نَحْوًا مِنْ قَرْنٍ، وَقَدْ تَبَعَ ذَلِكَ فِتْنٌ  
وَتَبْدِيلٌ لكَثِيرٍ مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ وَفُرُوعِهِ.

وَقَدْ سَأَلَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا وَمِنْ غَيْرِ  
أَهْلِهَا: أَنْ أَكْتُبَ لَهُمُ الْجَوَابَ، لَمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ  
الْعَبْدُ يَوْمَ الْحِسَابِ، مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ،  
الَّذِي وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَالَّذِي  
خُتِمَتْ بِهِ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ الْمَنْزَلَةُ عَلَى النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ  
مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا  
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى  
وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَمَعَ كَثْرَةِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَطَامِعِ كَثُرَتْ  
الْأَهْوَاءُ، وَمَعَ كَثْرَةِ الْأَهْوَاءِ تَنَوَّعَتْ الْأَرَاءُ، وَمَعَ  
كَثْرَةِ الْأَرَاءِ تَعَدَّدَتْ الطَّوَائِفُ وَالْفِرَقُ، وَلَمَّا ضَعُفَ  
اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ عِنْدَ أَهْلِهِ وَغَيْرِهِمْ، سَهَّلَ الْإِقْنَاعُ  
بِالتَّأْوِيلَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَإِيجَادِ التَّسْوِيعَاتِ مِنْ

الأحاديث والآيات، فإذا كانت الفِرْقُ الأولى في القرن الأول وما بعده سهَّلَ عليها ذلك، فهو لمن بعدهم أيسرُ وأسهل، ما وُجِدَت الشهوةُ والشبهة؛ فإنَّ الشبهة إنما هي شهوةٌ، ثمَّ تكونُ شبهةً، ثم تكونُ مذهبًا متبوعًا، ثم يأخذها الناسُ على آخرِ حالها، ولا يَعْرِفُونَ أَوْلَهَا؛ قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّمَّا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَتُكذِّبْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]؛ فذكرَ الهوى الذي صارَ كِبْرًا، ثم صارَ تكذيبًا، فعداوةً؛ وهكذا تكونُ المِلَلُ والأفكارُ الضالَّةُ في كلِّ أُمَّة.

والله أنزَلَ الحقَّ والهُدَى على نبيِّهِ ﷺ، ومَنْ أرادَهُ نقيًّا، فليأخُذْهُ مِنْ أُصُولِهِ الأولى قبلَ أن تُكَدِّرَهُ العقولُ؛ فالوحيُّ كالماءِ، والعقولُ كالأواني؛ أنزَلَ اللهُ الوحيَّ، فوضَعَهُ في قلب نبيِّهِ ﷺ، ثم وضعَهُ النبيُّ في الصحابةِ، ثم وضعَهُ الصحابةُ في التابعين، وكلَّمَا زادَ إفراغًا،

زَادَ كَدْرًا؛ فَأَصْحَحُ الْأَوَانِي وَأَنْقَاهَا الْإِنَاءَ الْأَوَّلَ؛  
 وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ الصَّحَابَةُ؛ رَوَى مُسْلِمٌ فِي  
 «الصَّحِيحِ»، عَنْ أَبِي مُوسَى؛ قَالَ: قَالَ:  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ،  
 أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي؛  
 فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي، أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ) (١).

فَالدِّينُ لَا يُؤْخَذُ إِلَّا مِنَ الْوَحْيِ كِتَابًا وَسُنَّةً:  
 ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ  
 آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]،  
 وَكُلُّ عِلْمٍ فِي الدِّينِ مِنْ غَيْرِهِمَا جَهْلٌ.

وَأَصْحَحُ الْفَهْمَ لِلْوَحْيِ: فَهْمُ الصَّحَابَةِ ﷺ،  
 وَنَحْنُ ذَاكِرُونَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَأَطْبَقَ عَلَيْهِ  
 فَهْمُ الصَّحَابَةِ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ خَيْرَ الْقُرُونِ؛  
 فَنَقُولُ:



## فَضْلٌ أَوَّلٌ

الإسلامُ: دِينُ اللَّهِ الْأَوْحَدُ، لَا يَقْبَلُ مِنْ عِبَادِهِ - إِنْسًا وَلَا جِنًّا - سِوَاهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الْأَدِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَالْإِسْلَامُ: هُوَ دِينُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٧٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ

عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ  
وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ  
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿النساء: ١٦٣ - ١٦٥﴾.

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ نُوحًا، وَإِبْرَاهِيمَ،  
وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَدَاوُدَ، وَسُلَيْمَانَ، وَأَيُّوبَ،  
وَيُوسُفَ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى،  
وَعِيسَى، وَإِلْيَاسَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَالْيَسَعَ، وَيُونُسَ،  
وَلُوطًا؛ قَالَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ  
أَقْتَدِهٖ﴾ [الأنعام: ٩٠].

يَتَّفِقُ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْأُصُولِ، وَيُفْتَرِقُ فِي  
بَعْضِ الْفُرُوعِ لَا كُلِّهَا؛ تَتَغَيَّرُ الْفُرُوعُ، وَلَا تَتَغَيَّرُ  
الْأُصُولُ؛ فَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُوسَى  
وَعِيسَى؛ فَنَسَخَ اللَّهُ بِالْإِنْجِيلِ الْمَنْزِلَ عَلَى عِيسَى  
بَعْضَ مَا فِي التَّوْرَةِ الْمَنْزُورَةِ عَلَى مُوسَى؛ قَالَ  
عِيسَى لِقَوْمِهِ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ  
وَلِأَحَدٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ

بِأَيَّةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ [آل عمران: ٥٠]،  
 وَمُوسَى وَعِيسَى نَبِيَّانِ بُعْثَا فِي أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَاخْتَلَفَ  
 بَعْضُ فُرُوعِهِمَا؛ فَكَيْفَ بغيرِهِمَا؟!

ثُمَّ لَمْ تَبْقَ شِرْعَةٌ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهَا التَّحْرِيفُ؛  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمْ  
 بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ  
 الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ  
 اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:  
 ٧٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾  
 [النساء: ٤٦].

فَحِيلَ بَيْنَ عَامَّةِ النَّاسِ وَبَيْنَ الْوَصُولِ إِلَى  
 الْحَقِّ؛ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ، وَسَبِيلُ التَّصْحِيحِ: نَبْوَةٌ  
 جَدِيدَةٌ؛ فَأَعَادَ اللَّهُ دِينَهُ الْحَقَّ بِنَبْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛  
 فَلَا إِسْلَامَ، وَلَا دِينَ حَقًّا إِلَّا دِينُهُ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ  
 غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ  
 الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَجَعَلَ رِسَالَتَهُ لِلأُمَّمِ كُلِّهِمْ: إِنْسًا وَجِنًّا،  
وَعَرَبًا وَعَجَمًا؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِلنَّاسِ  
بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وفي «الصحيح»، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن  
رسول الله ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ  
بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، يَهُودِيٍّ  
وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ  
بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)<sup>(١)</sup>.

وقد حَفِظَ اللهُ الْقُرْآنَ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ:  
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].



(١) رواه مسلم (١٥٣).

## فَضْلُ ثَابٍ

لا يُفَسِّرُ الإسلامَ وَيُبَيِّنُ مرادَ الله فيه إِلَّا اللهُ  
 في كتابه وفي سُنَّةِ نبيِّه ﷺ؛ فلا أَجَلَ مِنْ نبيِّ الله  
 في الناسِ؛ ومعَ هذا ما هو إِلَّا مُبَلِّغٌ عَن رَّبِّهِ؛  
 قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ  
 رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وعلى النبيِّ مَعَ البلاغِ البيانُ؛  
 قال الله: ﴿وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمَعِينِ﴾ [النور:  
 ٥٤]، ثُمَّ إِنَّ البَيانَ أَيضًا مِنْ الله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصَبْ  
 قُرْآنَهُ﴾ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨، ١٩].

فالسُّنَّةُ وَحْيٌ مِنْ الله إِلَى نبيِّهِ: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ  
 أَلْمُوءَةِ﴾ ﴿٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣، ٤]،  
 فإذا سُئِلَ النبيُّ ﷺ سُؤَالَ وَعِنْدَهُ جَوَابٌ سَابِقٌ مِنْ  
 رَبِّهِ، أَجَابَ؛ وَإِلَّا انتَظَرَ الوحيَ.

وأقربُ الناسِ لِفَهْمِ نبيِّهِ صحابَتُهُ ﷺ،

وَفَهْمُهُمُ لِلْقُرْآنِ حُجَّةٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ أَحَدًا يَمْلِكُ  
تَشْرِيْعًا غَيْرَ اللَّهِ فِي الدِّينِ تَحْلِيلًا أَوْ تَحْرِيمًا، فَقَدْ  
شَارَكَ اللَّهَ فِي حُكْمِهِ؛ وَهَذَا كُفْرٌ وَشُرْكٌ لَا يُخْتَلَفُ  
فِيهِ.

فَاللَّهُ لَمْ يُنَزِّلْ كِتَابَهُ إِلَّا وَلِكَلَامِهِ مَعْنَى يُرِيدُهُ،  
وَمَرَادُهُ لَا يُفْسَّرُهُ إِلَّا هُوَ وَمَنْ أَذِنَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ،  
وَلِلنَّازِرِ فِي الْقُرْآنِ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِنْهُ بَشْرَطَيْنِ:

\* أَوَّلًا: أَلَّا يَخْرُجَ عَنِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ  
وَوَضَعِهِ؛ فِي الْإِفْرَادِ وَالتَّرْكِيبِ.

\* ثَانِيًا: أَلَّا يُخَالِفَ مَعْنَى ثَبَتَ فِي الْقُرْآنِ  
صَرِيحًا.

فَمَا كُلُّ مَا يُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ؛ فَقَدْ ضَلَّ أَهْلُ  
الْكِتَابِ بِتَكْلُفِ الْاسْتِنْبَاطِ، وَلَيَّ الْمُحْكَمِ؛ لِيَنْقُضَ  
الْمُتَشَابِهَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿وَإِنَّ  
مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ  
الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ  
 وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿[آل عمران: ٧٨]﴾؛ قال: ﴿يَلُودُونَ  
 أَلْسِنَتَهُم بِالْكَذِبِ﴾، لا بغيره؛ ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ - لِشِدَّةِ  
 قُرْبِهِ - منه؛ إمعاناً في التضميل.







## فَصْلٌ ثَالِثٌ

حَقُّ اللَّهِ: إفرادهُ بالعبادةِ بجميعِ أنواعِهَا؛  
 قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَأَلَّا يُشْرَكَ مَعَهُ  
 غَيْرُهُ فِي أَعْمَالِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ؛  
 قال الله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾  
 [النساء: ٣٦].

وَلَا يُبْقِي الشَّرْكَ الْأَكْبَرَ لِلْإِنْسَانِ حَسَنَةً:  
 ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ  
 لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛  
 وَهَذَا الْخِطَابُ لِنَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُ؟

وَلَا يَغْفِرُ اللَّهُ الشَّرْكَ لِعَبْدِهِ إِلَّا بِتَوْبَتِهِ: ﴿إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ  
 يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾  
[محمد: ٣٤].

وَمَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، فَهُوَ فِي النَّارِ؛  
قال الله: ﴿وَمَنْ يَزْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ  
كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ  
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾  
[البقرة: ٢١٧]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ  
كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ  
أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

وَرَبَّمَا يَكُونُ الْكَافِرُ فِي حَيَاتِهِ نَافِعًا لِلنَّاسِ؛  
فهذا تَسْخِيرٌ لَهُ مِنَ اللَّهِ كَوْنِيًّا؛ كِتْسَخِيرِهِ لِسَائِرِ  
الْمَنَافِعِ؛ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ،  
وهي أَكْثَرُ نَفْعًا لِلنَّاسِ؛ لِأَنَّ الْكُفْرَ يَقَعُ عَلَى الْكُفْرِ  
بِاللَّهِ لَا الْكُفْرَ بِالطَّبِيعَةِ، وَالْعِقَابُ يَقَعُ عَلَى جَحْدِ  
حَقِّ اللَّهِ لَا جَحْدِ حَقِّ الطَّبِيعَةِ.

## فصل رابع

الإيمان والكُفْرُ: اسمانِ وحُكْمانِ يُنزِلُهُما اللهُ وحدهُ؛ فلا يُكْفَرُ أحدٌ إلاّ بدليلٍ وبيّنةٍ منه، والناسُ في الأرضِ على قِسْمَيْنِ لا ثالثَ لهما: مُؤْمِنُونَ، وكُفَّارٌ؛ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكَرُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

والأحكامُ عليهما ما أنزلَها اللهُ في كتابِهِ وسُنَّةِ نبيِّهِ.

وأما المنافقون، فهم:

● إِمَّا كُفَّارٌ أَبْطَنُوا الكُفْرَ وَأَظْهَرُوا الإِيْمَانَ؛ كَمَنْ أَظْهَرَ الإِيْمَانَ بِاللَّهِ وَكُتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَفِي بَاطِنِهِ هُوَ مُكَذِّبٌ بِهَا، وَهَذَا هُوَ النِّفَاقُ الأَكْبَرُ.

● وإِما مُسْلِمُونَ أَبْطَنُوا المَعْصِيَةَ وَأَظْهَرُوا الطَّاعَةَ؛ كَمَنْ يُظْهَرُ الوِفاءَ بِالعَهْدِ وَيُبْطِنُ العَدْرَ،

وَيُظْهِرُ الصِّدْقَ فِي الْحَدِيثِ، وَيُبْطِنُ خِلَافَهُ، وَهَذَا هُوَ: النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ، وَيُعَامَلُ الْمُنَافِقُ عَلَى ظَاهِرِهِ مَعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ وَمَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ.

وَالْأَصْلُ فِي مَالِ الْمُؤْمِنِ وَدَمِهِ: الْحُرْمَةُ، وَالْكَافِرِ: الْحِلُّ؛ وَلَيْسَ هَذَا بِإِطْلَاقِهِ؛ فَقَدْ يُعَصَمُ الْكَافِرُ: لِعَهْدِهِ، وَأَمَانِهِ، وَدِمَّتِهِ، وَيُقْتَلُ الْمُؤْمِنُ لِدَنْبٍ: كَقَتْلِهِ، وَزِنَاؤُهُ بَعْدَ إِحْصَانِهِ.

وَلَا يُكْفَرُ إِلَّا مَنْ كَفَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ:

• كَمَنْ كَذَّبَ اللَّهَ أَوْ نَبِيَّهُ ﷺ.

• أَوْ اسْتَهْزَأَ بِهِمَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَإِيَابِيهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْنَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعْدَبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

• أَوْ عَانَدَ وَلَمْ يُدْعِنْ لِهَمَا.

• أَوْ أَنْكَرَ الْقَطْعِيَّ مِنْ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ.

• أَوْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي  
 الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ  
 الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ  
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ  
 فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]؛ وَفُسِّرَ  
 الظُّلْمُ بِالْكَفْرِ.

• أَوْ صَرَفَ عِبَادَةَ لغيرِ اللَّهِ؛ قَالَ: ﴿وَمَنْ يَدْعُ  
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ  
 رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]:

سَوَاءٌ:

• كَانَتْ عِبَادَتُهُ خَالِصَةً لغيرِ اللَّهِ، أَوْ جَعَلَ  
 الْإِلَهَةَ وَاسِطَةً؛ فَكُلُّهُ كُفْرٌ؛ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن  
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ  
 شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي  
 السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا  
 يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

● أو جعلَ ما هو اللهُ وَحْدَهُ لغيرِ اللهِ؛  
كحَقِّ اللهِ في التشريعِ والحكمِ؛ فيُحِلُّ ويُحَرِّمُ؛  
فالتشريعُ والحكمُ سَمَاءُ اللهِ: عِبَادَةٌ؛ فقال: ﴿إِن  
الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

● أو ادَّعى لغيرِ اللهِ عِلْمَ الغَيْبِ؛ كالسَّحْرِ،  
وعِلْمِ النُّجُومِ؛ قال اللهُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

● أو زَعَمَ الخَلْقَ والتَّصَرُّفَ؛ بالكونِ،  
والحياةِ، والموتِ؛ قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ  
خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ  
الْوَحِيدُ الْقَهُّورُ﴾ [الرعد: ١٦].

● وكذلك مَنِ اتَّخَذَ الكَافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ  
المُؤْمِنِينَ؛ مَحَبَّةً، ونُصْرَةً؛ قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ  
فإنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وَمَنْ أَمَكَّنَهُ مَعْرِفَةَ الإِسْلامِ، فترَكَهُ، وأَعْرَضَ عَنْهُ  
بِاخْتِيَارِهِ -: فذلكَ كَافِرٌ؛ ولو كانَ جاهلاً على الحَقِيقَةِ؛

لأنَّه جاهلٌ جهلاً يُمكنُهُ رفعُهُ فلم يَرَفَعُهُ؛ ولذا قال اللهُ عن المُشْرِكِينَ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٤]؛ فذَكَرَ أَنَّهُمْ جُهَّالٌ لَكِنْ باختيارِهِمْ.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، وَعَدَمُ عِلْمِ الْإِنْسَانِ بِتَفَاصِيلِ الْحَقِّ بسببِ إِعْرَاضِهِ عِنْدَ سَمَاعِهِ لِلْحَقِّ: لَيْسَ بِعُذْرٍ؛ وَهَذَا أَكْثَرُ ضَلَالِ الْأُمَّمِ؛ لِأَنََّّهُمْ يَسْمَعُونَ طَرَفَ الْحَقِّ، ثُمَّ يُعْرِضُونَ - مُتْجَاهِلِينَ - عَنِ تَفَاصِيلِهِ.

فَعَدَمُ الْإِكْتِرَافِ بِالْبَرَاهِينِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ خَصْلَةٌ لِأَكْثَرِ الْكُفَّارِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، وَقَالَ: ﴿بَلْ أَلْبَسْنَاهُمْ لِيُذَكِّرَهُمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

فَالْإِعْرَاضُ مَعَ طَرَفٍ مِنْ عِلْمٍ: لَا يُسْقِطُ حَقُوقَ النَّاسِ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ فَكَيْفَ يُسْقِطُ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى؟!!

فالعقلُ إن لم يتوقَّف عند الآياتِ تأمُّلاً فيها، فاتَهُ مِنْ مَقاصِدِهَا ما فاتَهُ بِقَدْرِ عَجَلَتِهِ عنها؛ فلا يَنْتَفِعُ حتى لو كانتِ الحُجَّةُ باهرةَ القوَّةِ تُرى كلَّ يومٍ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

ويُخْطِئُ الإنسانُ بِظَنِّهِ أَنَّ إِعراضَهُ عن تفاصيلِ الحقِّ، وتَرْكَهُ لها وراءَ ظهرِهِ: يُعْفِيهِ من تَبَعاتِهَا.

وَسَبَبُ الإِعراضِ: إمَّا كِبَرٌ، أو لهُؤُ واستمتاعٌ؛ ولهذا إذا نَزَلَتِ المصائبُ به، أزالَتْ كِبَرَهُ، وأفقدَتْهُ مُتَعَتَهُ؛ فأبصَرَ الحقَّ، وعادَ إليه.





## فَضْلُ خَائِسٍ

الإيمانُ: قولٌ، وعَمَلٌ، واعتقادٌ؛ وهذه الثلاثةُ كُلُّها الإيمانُ؛ كما أنَّ المَغْرِبَ ثلاثُ رَكَعاتٍ؛ إذا نَقَصَتْ واحدةٌ لا تُسَمَّى مَغْرِبًا، وكذلك إذا نَقَصَ واحدٌ مِنَ الإيمانِ - قولٌ أو عملٌ أو اعتقادٌ - لا يُسَمَّى إيمانًا.

وحقيقةُ هذه الثلاثةِ التي بنفِي واحدٍ منها ينتفي الإيمانُ: هي ما اخْتَصَّتْ به الشريعةُ المُحَمَّدِيَّةُ؛ فليس المرادُ بالاعتقادِ حُبَّ الخَيْرِ للناسِ والسَّلَامَةَ مِنَ الغِلِّ؛ لأنَّ هذا تَمِيلٌ إليه أَكْثَرُ النفوسِ؛ ولو كانت لا تُؤْمِنُ بوجودِ خالقي، بل المرادُ: قولُ القلبِ وعَمَلُهُ:

فَقَوْلُ القَلْبِ: التصديقُ بأنَّه لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وأنَّ ما جاءَ به النبيُّ ﷺ عن رَبِّهِ: هو الحَقُّ.

وَعَمَلُ الْقَلْبِ: حُبُّ اللَّهِ، وَنَبِيِّهِ، وَدِينِ  
الإِسْلَامِ، وَحُبُّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالْإِخْلَاصُ  
لَهُ فِي عِبَادَتِهِ.

وَلَيْسَ الْقَوْلُ مَحْصُورًا فِي أَلْفَاظِ الْخَيْرِ الْعَامَةِ:  
كَالصِّدْقِ فِي الْحَدِيثِ، وَلِيْنِ الْخِطَابِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ،  
وَبَذْلِ التَّحِيَّةِ، وَهِدَايَةِ الطَّرِيقِ لِلضَّالِّ؛ لِأَنَّ هَذَا تُجِبُّهُ  
كُلُّ نَفْسٍ وَلَوْ كَانَتْ كَافِرَةً بِاللَّهِ جَاحِدَةً لَوْجُودِهِ،  
وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: مَا اخْتَصَّتْ بِهِ الرِّسَالَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ،  
وَأَعْلَاهَا: النُّطْقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَالتَّسْبِيْحُ، وَالتَّكْبِيْرُ.

وَلَيْسَ الْعَمَلُ مَحْصُورًا فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ  
الْعَامَّةِ: كِبِرِ الْوَالِدَيْنِ، وَإِمَاطَةِ الْأَدْيِ عَنِ الطَّرِيقِ،  
وَإِطْعَامِ الْفَقِيْرِ، وَنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ، وَإِكْرَامِ الضَّيْفِ؛  
لِأَنَّ هَذَا تَمِيلُ إِلَيْهِ النَفْسُ وَلَوْ بِلَا إِيْمَانٍ، وَإِنَّمَا  
الْمُرَادُ بِالْعَمَلِ: الْعَمَلُ الَّذِي اخْتَصَّ الرَّسُولُ  
مُحَمَّدٌ ﷺ بِإِبْلَاجِهِ؛ كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ،  
وَالْحَجِّ، وَنَحْوِهَا.

وأعمال البرِّ التي اشتركت جميع الرسائلِ  
السَّمَاوِيَّةِ وَالْفِطْرَةَ بِالذَّلَالَةِ عَلَيْهَا؛ كحُبِّ الخَيْرِ  
للنَّاسِ، وَالصَّدَقِ فِي الْحَدِيثِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ،  
وَإِطْعَامِ الْفَقِيرِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ،  
وَشِبْهَهَا -: تَزِيدُ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْإِحْلَاصِ لِلَّهِ فِيهَا،  
وَلَكِنَّ انْتِفَاءَهَا لَا يَنْفِي الْإِيمَانَ، وَوُجُودَهَا  
لَا يُوجِدُهُ، وَإِنَّمَا هِيَ تُثَبِّتُ أَنَّ الْفِطْرَةَ صَحِيحَةٌ،  
وَالْإِنْسَانِيَّةَ - الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ - لَمْ تَبْدَلْ،  
وَهِيَ أَقْرَبُ لِقَبُولِ الْحَقِّ: ﴿فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ  
النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

وَالْإِيمَانُ: يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَيَزُولُ؛ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ،  
وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَلَا يَزُولُ إِلَّا بِالْكَفْرِ وَالشُّرْكِ؛  
قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ  
وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾  
[الأنفال: ٢]، وَقَالَ: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾  
[المدثر: ٣١]، وَقَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ  
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

## وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ بَعْدَ الْكُفْرِ إِلَّا:

● بِالْإِعْتِقَادِ: بِقَوْلِ الْقَلْبِ؛ وَهُوَ التَّصَدِيقُ بِالرَّسَالَةِ، وَبِعَمَلِ الْقَلْبِ؛ وَهُوَ حُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

● ثُمَّ قَوْلِ اللِّسَانِ.

● ثُمَّ عَمَلِ الْجَوَارِحِ.

وَمَنْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ، وَتَمَكَّنَ مِنَ النُّطْقِ بِلِسَانِهِ؛ فَلَمْ يَنْطِقْ: فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ.

وَمَنْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ، وَنَطَقَ بِلِسَانِهِ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي اخْتَصَّتْ بِهِ شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَلَمْ يَعْمَلْ: فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ.

وَمَنْ أَرَادَ النُّطْقَ، أَوْ الْعَمَلَ؛ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا

ءَاتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وإذا وَقَعَ المسلمُ في نَاقِضٍ لإيمانه - قوليَّ أو عمليَّ أو اعتقاديَّ - انتَقَضَ إيمانه كُلُّهُ؛ لأنَّ هذه الثلاثة - القولَ والعملَ والاعتقادَ - هي الإيمانُ؛ كالرَّكْعَاتِ الثلاثِ هي المَغْرِبُ، فإذا ارتَكَبَ المُصَلِّي نَاقِضًا أو مُبْطِلًا لها في ركعةٍ واحدةٍ منها انتَقَضَتْ صلاته كُلُّها، ولو أَدَّى بَقِيَّةَ ركعاتِها صحیحَةً بلا نَاقِضٍ، وهذا لا يُنافي قولنا بزيادة الإيمانِ بالطاعاتِ ونقصانِهِ بالمعاصي: الصغائرِ والكبائرِ، كما أنَّ بطلانَ الصلاةِ كُلُّها بِمُبْطِلٍ واحدٍ لا ينافي أنها تزيدُ بالعملِ الصالحِ كطولِ القيامِ والخُشُوعِ والقراءةِ، وتنقصُ ولا تبطلُ بالمَنْهِيَّاتِ: كالنظرِ إلى السماءِ، وبَسْطِ الذُّرَاعَيْنِ كالكلبِ وغيرِ ذلك، فلا نَاقِضٌ للإيمانِ إلا ما جعلَهُ الشارِعُ نَاقِضًا، ولا مُبْطِلَ للصلاةِ إلا ما جعلَهُ الشارِعُ مُبْطِلًا.





## فَضْلُ سَارِسٍ

لِلَّهِ صِفَاتٌ عُلَا، وَأَسْمَاءٌ حُسْنَى، وَلَا أَحَدٌ  
أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ؛ فَتَنَفَّى عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ  
نَفْسِهِ، وَنُثِبَتْ لَهُ مَا أُثْبِتَتْ لِنَفْسِهِ؛ فِي كِتَابِهِ، وَسُنَّةِ  
نَبِيِّهِ ﷺ، وَنَفَى عَنْهُ كُلَّ نَقِيصَةٍ وَنُجْمِلٍ، وَنُثِبَتْ لَهُ  
كُلُّ مَعْنَى كَمَالٍ وَنُفْصَلٍ، وَلَا نُكَيْفُ وَلَا نُشْبَهُ  
وَلَا نُمَثَّلُ.

وَمَنْ وَصَفَهُ بِنَقْصٍ مُفْصَّلٍ نَنَفَى عَنْهُ  
مُفْصَّلًا؛ كَمَا نَفَى اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ الزَّوْجَةَ وَالْوَلَدَ؛  
قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْتَ يَكُونُ لَهُ، وَوَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾  
[الأنعام: ١٠١]، وَقَالَ: ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُوَلِدْ﴾  
[الإخلاص: ٣]، وَنَفَى عَنْ نَفْسِهِ وَصَفَ الْيَهُودَ لَهُ  
بِالْبَخْلِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا  
بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وَنُورٌ مَا جَاءَ فِي الْوَحْيِ؛ كَالَّذِي جَاءَ مِنْ  
الْصِفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ: نُثِبْتُ حَقِيقَتَهُ، وَنُدْرِكُ بَعْضَ  
أَثَارِهِ، وَلَا نَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ؛ فَاللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ؛  
قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقِيسَ صِفَاتِ اللَّهِ عَلَى شَيْءٍ؛  
لَأَنَّ الْقِيَاسَ لَا بَدَّ فِيهِ مِنْ فَرْعٍ وَأَصْلٍ؛ وَاللَّهُ وَاحِدٌ  
لَا مَثِيلَ لَهُ؛ فَلَا فَرْعٌ يُدَانِيهِ، وَلَا أَصْلٌ يُعَالِيهِ،  
أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا  
أَحَدٌ.

وَالْعُقُولُ آلَاتٌ خَلَقَهَا اللَّهُ تَقِيسُ مَا تَسْمَعُ  
عَلَى مَا تَرَى؛ فَتَسْمَعُ إِخْبَارَ اللَّهِ عَنِ نَفْسِهِ وَلَمْ تَرَهُ  
مِنْ قَبْلُ، فَتَقِيسُهُ عَلَى أَقْرَبِ مِثَالٍ رَأَتْهُ؛ كُلُّ عَقْلٍ  
يَتَصَوَّرُهَا حَسَبَ مَا رَأَى مِنْ قَبْلُ، وَيُكَيِّفُ عَلَى  
مَا شَاهَدَ، وَاللَّهُ لَا مَثِيلَ لَهُ فِي كُلِّ الْعُقُولِ؛  
فَلَا نَعْطُلُ لَهُ اسْمًا وَلَا صِفَةً لِأَجْلِ مِثَالٍ سَيِّئٍ



انْقَدَحَ فِي الْأَذْهَانِ نُرَيْدُ نَفِيَهُ، بِنَفِي الصَّفَةِ، أَوْ  
 الْإِسْمِ عَنْهُ سَبْحَانَهُ، فَتَنَقَّعُ فِي نَفِي قِيَاسٍ بَاطِلٍ،  
 وَتَنَقَّعُ فِي تَكْذِيبِ خَبَرٍ صَحِيحٍ، وَلَكِنْ نَنَفِي الْمَعْنَى  
 السَّيِّئِ فِي النُّفُوسِ، وَتُثَبِّتُ مَا وَصَفَ وَسَمَّى اللَّهُ بِهِ  
 نَفْسَهُ، وَنَقَفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا  
 خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وَقَالَ:  
 ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ  
 اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وَاللَّهُ تَعَالَى مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ فِي السَّمَاءِ؛  
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ  
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ  
 فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ  
 فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾  
 [الحديد: ٣، ٤].

فَأَثَبَتْ اسْتِوَاءَهُ بِذَاتِهِ، وَعِلْمَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ،

وَأَخْبَرَ عَنْ مَعِيَّتِهِ لِعِبَادِهِ؛ فَهُوَ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ وَسَمْعِهِ  
وَبَصَرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا  
كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]؛ وَهُوَ مَعَ أَوْلِيَائِهِ بِذَلِكَ وَبِنَصْرِهِ  
وَتَأْيِيدِهِ وَكَوَلَاءَتِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى وَهَارُونَ:  
﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ آسَمِعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

وَاللَّهُ الْمَشِيئَةُ الْكَامِلَةُ الشَّامِلَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ،  
فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ نُثِبَتْهَا  
كَمَا أُثْبِتَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَا نَخْوَضُ بِمَا زَادَ عَنْ ذَلِكَ؛  
كَمَا يَفْعَلُ الْعُقْلَانِيُّونَ مِنَ الْخَوْضِ بِفَعْلِ الْمُحَالَاتِ،  
وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَاقِضَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ قَالَ تَعَالَى:  
﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]،  
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا كِنَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]،  
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾  
[البروج: ١٥، ١٦].

وَنُثِبْتُ لَهُ مَا ثَبَتَ بِهِ النَّصُّ مِنَ الْوَحْيِ،  
وَنَتَوَقَّفُ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ، وَنَنْفِي مَا دَلَّ الْعَقْلُ عَلَى

نَفِيهِ مِنَ النِّقَائِصِ، وَإِنْ لَمْ يُسَمَّ بِالنِّصِّ كَالْحُزْنِ  
وَالْبُكَاءِ وَالْجُوعِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.





## فَصْلٌ سَابِعٌ

القرآنُ كَلَامُ اللَّهِ؛ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، بِحُرُوفِهِ وَأَيَاتِهِ  
 وَسُورِهِ، وَلَا نَقُولُ: «هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مَعْنَى، وَلَا حِكَايَةٌ  
 لَهُ»، وَنَقُولُ: لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا مَتَى شَاءَ؛ قَالَ تَعَالَى:  
 ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَالَ:  
 ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].  
 وَكَلَامُهُ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾  
 [الأحزاب: ٤].

وَكَلامُ اللَّهِ تَحْفَظُهُ الصُّدُورُ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ  
 يَنْزِلُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].  
 وَهُوَ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾  
 [التوبة: ٦]؛ وَمَعَ أَنَّ الْمُبَلَّغَ لَهُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،  
 لَمْ يُخْرِجْهُ عَنْ كَوْنِهِ كَلَامَ اللَّهِ.

وهو المكتوبُ في السطورِ؛ قال تعالى: ﴿وَكُتِبَ  
 مَسْطُورًا ﴿٢٦﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ﴾ [الطور: ٢، ٣]، حَفِظَهُ اللهُ فِي  
 اللُّوحِ المحفوظِ عنده؛ قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ  
 ﴿٢٦﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وقال: ﴿وَلِإِنَّهُ فِي  
 أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

وكونه مسطورًا لا يُخْرِجُهُ عن كونه كلامَ الله؛  
 فالورقُ مخلوقٌ، والحبرُ كذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ  
 نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطاسٍ﴾ [الأنعام: ٧]؛ فجعلَ  
 الكتابَ شيئًا، والقِرطاسَ شيئًا آخرَ.

وقال مُثَبِّتًا أَنَّ القرآنَ كلامُهُ، ولو كَتَبْتَهُ أقلامٌ  
 مخلوقةٌ، بِمِدادٍ مخلوقٍ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ  
 شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا  
 نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ  
 لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ  
 نَفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِدادًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

فما كَتَبْتَهُ الأَقلامُ، وما لم تَكْتُبْهُ: كُلُّهُ  
 كلامُ اللهِ سِوَاءٍ.

وَمَنْ قَالَ: كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ  
 كَلَامَهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَقَدْ فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ وَبَيْنَ  
 كَلَامِهِ تَعَالَى؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى  
 آيَلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ  
 بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾  
 [الأعراف: ٥٤].

فَفَرَّقَ بَيْنَ خَلْقِهِ؛ وَهِيَ: السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ،  
 وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ، وَبَيْنَ أَمْرِهِ؛ وَهُوَ: كَلَامُهُ  
 سَبْحَانَهُ الَّذِي كَوَّنَ بِهِ الْمَخْلُوقَاتِ ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾.  
 وَاللَّهُ خَلَقَ أَصْوَاتَ الْقُرَّاءِ؛ وَذَلِكَ بِخَلْقِ  
 الشَّفَفَتَيْنِ وَاللُّسَانَ وَالْحَلْقِ، وَالْهَوَاءِ وَاللُّعَابِ،  
 وَحَرَكَتَيْهَا؛ وَهَذَا لَا يَنْفِي أَنَّ الْمَسْمُوعَ كَلَامُ اللَّهِ؛  
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ  
 اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥]؛ فَالْمَسْمُوعُ: كَلَامُ اللَّهِ وَلَوْ تَلَفَّظَ  
 بِهِ الْقَارِئُ، كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: «الصَّوْتُ  
 صَوْتُ الْقَارِئِ، وَالْكَلَامُ كَلَامُ الْبَارِي».





## فَضْلٌ ثَانِيٌّ

باجتماع النقل والعقل تُدْرِكُ الحَقِيقَةُ  
الشرعيَّةُ؛ فلا النقلُ يُفِيدُ فاقدَ العَقْلِ، ولا العقلُ  
يُفِيدُ فاقدَ النَّقْلِ، وبنقصِ واحدٍ منهما تَنْقُصُ معرفةُ  
الحَقِّ، وإن تعارضا في الظاهرِ قُدِّمَ النَّقْلُ على  
العقلِ؛ لأنَّ النَّقْلَ عِلْمُ الخالِقِ الكامِلِ، والعقلَ  
عِلْمُ المخلوقِ القاصِرِ.

والعقلُ كالْبَصَرِ، والنقلُ كالنُّورِ؛ لا يَنْتَفِعُ  
المُبْصِرُ بعينه في ظلامٍ دامِسٍ، ولا يَنْتَفِعُ العاقلُ  
بعقله بلا وحيٍ، وبِقَدْرِ النورِ تَهْتَدِي العَيْنُ، وبِقَدْرِ  
الوحي يَهْتَدِي العَقْلُ، وبكمالِ العقلِ والنقلِ تَكْتَمِلُ  
الهدايةُ والبصيرةُ؛ كما تَكْتَمِلُ الرُّؤْيَةُ حِينَ الظَّهِيرَةِ؛  
﴿أَوْمَنَ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ  
فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والعاقلُ يَنْتَفِعُ بعقلِهِ في دنياه؛ كما بإدراكِهَا  
تَنْتَفِعُ البهائمُ الطائِرةُ والسائِرةُ؛ فهي تَرْحَلُ وتَنْزِلُ  
بأزمِنَةٍ، تَعْرِفُ بعضَهَا، وتَسْتَدِلُّ على أرضِهَا،  
تَنْسُجُ عُشَّهَا، وتَعْرِفُ عَدُوَّهَا.

ولكن لا يَهْتَدِي الإنسانُ بعقلِهِ - على وَجْهِ  
التَّفْصِيلِ - إلى رَبِّهِ إِلَّا بِوَحْيِهِ المنزَّلِ على نبيِّهِ،  
ولا يُمكنُ أن يَصِلَ إليه إِلَّا بذلك؛ فهو في ظلامٍ  
بدونِهِ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ  
إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ  
مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قال: ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾؛ لأنَّهُم بِدُونِهِ داخلونَ في  
الظلامِ، وكما أنَّ الضياءَ واحدٌ وإن اختلفتْ  
أنواعُهُ: نُورٌ ونارٌ؛ فكذلك الوحيُّ واحدٌ وإن  
اختلفتْ أنواعُهُ: كتابٌ وسُنَّةٌ؛ قال اللهُ تعالى:  
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

وَمَنْ قَالَ: «إِنَّهُ يَهْتَدِي إِلَى اللَّهِ بِعَقْلِهِ الْمُجَرَّدِ  
بِلا وحي»، فهو كَمَنْ قَالَ: «إِنَّهُ يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِهِ  
بِعَيْنِهِ الْمُجَرَّدَةِ بِلا ضياءٍ»؛ وَكُلُّ مَنْهُمَا جاحِدٌ  
لِقَطْعِيَّ ضَرُورِيٍّ، وَالأَوَّلُ بِلا دِينٍ، وَالثانِي  
بِلا دُنْيَا.

وَاللَّهُ سَمَّى وَحْيَهُ نُورًا يَهْتَدِي بِهِ كُلُّ الْخَلْقِ:  
﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ  
الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛  
فهو الذي يَهْدِي الأنبياء، وَيَهْدِي أَتْبَاعَهُمْ.

نُسَلِّمُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَنَهَى عَنْهُ، وَنُصَدِّقُ  
مَا أَخْبَرَ بِهِ؛ إِنْ عَرَفْنَا الْعِلَّةَ آمَنَّا، وَإِنْ لَمْ نَعْرِفْهَا  
آمَنَّا وَسَلَّمْنَا؛ فَمَا كُلُّ مَعْقُولٍ يُدْرِكُهُ كُلُّ عَقْلٍ؛  
فكَيْفَ بِمَا لَا تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ وَيُرَادُ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْهِ  
كُلُّ عَقْلٍ؟!

وَمَنْ قَالَ: «لَا أَوْمِنُ إِلَّا بِمَا أَدْرَكُهُ الْعَقْلُ  
مِنْ حُكْمِ اللَّهِ، وَمَا لَا يُدْرِكُهُ لَا أَوْمِنُ بِهِ»، فِهَذَا

قَدَّمَ الْعَقْلَ عَلَى النُّقْلِ؛ فَمَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ لَا يَعْني  
عَدَمَ وُجُودِهِ، وَلَكِنَّهُ هُوَ غَيْرُ مُدْرِكٍ لَهُ، فَلِلْعَقْلِ حَدٌّ  
يَنْتَهِي إِلَيْهِ، كَمَا أَنَّ لِلْبَصْرِ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ لَا يَنْتَهِي  
الْكُونُ وَالْوُجُودُ بِنَهَائِيَّتِهِ، وَلِلسَّمْعِ حَدٌّ لَا تَنْتَهِي  
الْأَصْوَاتُ بِنَهَائِيَّتِهِ؛ فَلِلنَّمْلَةِ صَوْتُ لَا يُسْمَعُ، وَفِي  
الْكُونِ فِضَاءٌ وَكَوَاكِبٌ وَنُجُومٌ لَا تُرَى.



## فَصْلٌ تَاسِعٌ

الشرع لله وَحْدَهُ؛ يُحِلُّ ما يَشَاءُ، وَيُحَرِّمُ ما يَشَاءُ؛ بعلمٍ وَحِكْمَةٍ، وتَشْرِيعُهُ جاءَ لِصَلاحِ الدِّينِ والدُّنيا، لا يَرْتَفِعُ أمرُهُ ونَهْيُهُ عَنِ المُكَلَّفِينَ في زَمَنٍ أو مَكانٍ دُونَ غَيرِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

لا نَفْصِلُ بَينَ تَشْرِيعِهِ في الدِّينِ والدُّنيا؛ وَكُلُّها تَكاليفُ دَنيويَّةٌ وَدَنيويَّةٌ:

\* الدَّيْنِيَّةُ: كالصلاة، والصيام، والحج، والذَّكْر، وَعِمارةِ المَساجِدِ.

\* والدَنيويَّةُ: كالبيع، والنِّكاحِ، وَالطَّلَاقِ، وَالْمواريثِ.

وَمَنْ فَرَّقَ بَينَهما؛ فَجَعَلَ لِلَّهِ الحُكْمَ بالدَنييَّةِ، وَلِغَيرِهِ الحُكْمَ بالدَنيويَّةِ: فَقَدَ كَفَرَ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ كُلَّهُ

له وحده؛ مَنْ جَعَلَهُ حَقًّا لغيرِهِ، كَمَنْ جَعَلَ  
السُّجُودَ حَقًّا يُصْرَفُ لغيرِهِ: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ  
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وبهذا كَفَرَ بنو إِسْرَائِيلَ: ﴿اتَّخَذُوا أَجْرَاهُمْ  
وَرُءْبُكِنَهُمْ أَزْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ  
مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا  
لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾  
[التوبة: ٣١]؛ فَسَمَّى فِعْلُهُمْ شِرْكًَا.

والله أَنْزَلَ كِتَابَهُ، وَشَرَعَ تَشْرِيْعَهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ  
مَا يَأْتِي مِنْ أَحْوَالِ، وَمَا مَضَى مِنْ حَوَادِثٍ؛  
كَمَا يَعْلَمُ وَيَرَى الْحَالَ وَالزَّمَانَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ  
التَّشْرِيْعُ سِوَاءً؛ لَا يَنْقُصُ عِلْمُهُ عَنْ حَادِثَةٍ؛ لِأَنَّهَا  
فِي زَمَنِ سَابِقٍ، وَلَا لِأَنَّهَا فِي زَمَنِ لَاحِقٍ؛  
وَلَا يَزِيدُ عِلْمُهُ فِي حَادِثَةٍ لِأَنَّهَا فِي زَمَنِ حَاضِرٍ،  
فَعِلْمُ السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ، وَالْحَاضِرِ وَالْغَائِبِ عِنْدَهُ  
سِوَاءً؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمَنْ رَأَى أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ صَالِحٌ لِلزَّمَنِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ فَقَطْ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَلِلنَّاسِ أَنْ يُشَرِّعُوا مَا يَرَوْنَهُ صَالِحًا وَلَوْ كَانَ مُخَالِفًا لِحُكْمِ اللَّهِ، فَهَذَا كُفْرٌ؛ لِأَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ يَرَى أَنَّ إِدْرَاكَ الْإِنْسَانِ يَخْتَلِفُ بَيْنَ عِلْمِ الْمَشَاهِدِ وَالْغَائِبِ فَيَخْتَلِفُ حُكْمُهُ تَبَعًا لِذَلِكَ، وَيُظَنُّ أَنَّ اللَّهَ كَذَلِكَ، فَيُقَدِّمُ الْإِنْسَانُ عِلْمَهُ لِحَاضِرِهِ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ لِلْغَائِبِ عِنْدَ انْزَالِ الْوَحْيِ، وَهَذَا كُفْرٌ وَشِرْكٌ، وَاللَّهُ يَسْتَوِي عِلْمُهُ بِالْأَشْيَاءِ غَيْبًا وَشَهَادَةً: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢] وَحُكْمُ اللَّهِ فِي الشَّهَادَةِ كَحُكْمِهِ فِي الْغَيْبِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦]: يَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ الشَّاهِدِينَ وَالْغَائِبِينَ.

وَمَنْ فَصَلَ حُكْمَ الدِّينِ عَنِ حُكْمِ الدُّنْيَا،

وَجَعَلَ اللَّهُ يُسْرِعُ لِلدِّينِ، وَالْإِنْسَانَ يُسْرِعُ لِلدُّنْيَا - كَمَا يَقُولُهُ اللَّيْبَرَالِيُّونَ - فَقَدْ جَعَلَ هُنَاكَ مُشْرِعِينَ مُتَعَدِّدِينَ، وَالتَّشْرِيْعُ لِلَّهِ وَحْدَهُ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]؛ فَمَنْ كَفَرَ بِبَعْضِهِ، كَفَرَ بِهِ كُلَّهُ.

وَاللَّهُ أَمَرَ بِالْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أُنزِلَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ: ﴿وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وَالْمَرَادُ: الْحُكْمُ فِي الْخُصُومَاتِ، وَالنِّزَاعِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَالْمَرَادُ بِالْفِتْنَةِ: الْخُرُوجُ عَنْ حُكْمِهِ سَبْحَانَهُ.

وَمَا سَكَتَ عَنْ تَفْصِيلِهِ الْوَحْيِي، فَلْأَهْلِ الْاجْتِهَادِ تَفْصِيلُهُ؛ شَرِيْطَةٌ أَلَّا يُصَادِمَ حُكْمًا لِلَّهِ ثَابِتًا.

وَلَا يُقَدِّمُ حُكْمَ النَّاسِ وَاخْتِيَارُهُمُ الْمُنَاقِضُ لِحُكْمِ اللَّهِ، وَلَوْ كَانَ حُكْمُ الشُّعُوبِ مُقَدِّمًا، لَكَانَ



الأنبياء خارجين عن الحق؛ فقد نشؤوا بين  
أقوامٍ أجمَعُوا على الباطلِ، أو كانَ جُمهُورُهُمْ  
عليه.





## فَضْلٌ عَاشِرٌ

قَدَرَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلِيقَةِ قَبْلَ خَلْقِهَا، وَكُلُّ  
 مَخْلُوقٍ خُلِقَ بِقَدَرٍ مِنْ قَبْلِ إِيجَادِهِ؛ قَالَ تَعَالَى:  
 ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]،  
 وَقَالَ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]،  
 وَقَالَ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قَدَرَ اللهُ الْأَقْدَارَ خَيْرَهَا وَشَرَّهَا؛ فَنَفِي  
 «الصَّحِيحُ» قَالَ ﷺ: (وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ  
 وَشَرُّهُ) (١).

وَعِلْمُ اللهِ لَازِمٌ لِقَدَرِهِ؛ فَلَا يُقَدَّرُ الْأَقْدَارُ  
 إِلَّا مَنْ يَعْلَمُهَا، وَلَا يَعْلَمُ تَفَاصِيلَهَا وَدَقَائِقَهَا،  
 وَأَمَاكِنَهَا وَتَقَلُّبَهَا، وَمُبْتَدَاَهَا وَمُنْتَهَاَهَا إِلَّا مَنْ خَلَقَهَا؛

(١) رواه مسلم (٨) من حديثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال تعالى: ﴿لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤].

وَمَنْ نَفَىٰ تَقْدِيرَهُ نَفَىٰ عِلْمَهُ، وَمَنْ نَفَىٰ عِلْمَهُ نَفَىٰ تَقْدِيرَهُ.

ومقاديرُ الخَلْقِ مكتوبةٌ عندَ الله في كتابٍ؛ قال الله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وَقَالَ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وَخَلَقُ اللَّهِ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ:

\* مُسَخَّرٌ لَا اخْتِيَارَ لَهُ؛ كَالكواكِبِ،  
وَالأفلاكِ.

\* وَمَنْ لَهُ مَشِيئَةٌ وَاخْتِيَارٌ؛ كَالإنْسِ،  
وَالجِنِّ، وَالْمَلَائِكَةِ؛ فَلَمْ يُسَيِّرْهُمْ بِلا اخْتِيَارٍ؛  
فِيُجْبِرُهُمْ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَيُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهَا، وَلَمْ

يكونوا باختيارٍ بلا تسييرٍ؛ فيكونوا شُرَكَاءَ له في  
 الفِعْلِ والإِرَادَةِ، بل جَعَلَ لَهُمْ مَشِيئَةً تَحْتَ مَشِيئَتِهِ:  
 ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ  
 يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾  
 [التكوير: ٢٧ - ٢٩].

وخلَقَ اللهُ العِبَادَ وما يَفْعَلُونَ؛ قال اللهُ:  
 ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾  
 [الصافات: ٩٥، ٩٦].

وأوجدَ الأسبابَ وسببها كما أوجدَ مُسبباتها  
 بها؛ وهذا مُقتضى سَعَةِ عِلْمِهِ، وعَظِيمِ حِكْمَتِهِ في  
 إِجْرَاءِ الكَوْنِ على سَنَنِ ونِظَامٍ.

ولا يجوزُ أن يَتَوَقَّفَ العَقْلُ عَنِ الإِيمَانِ بما  
 لا يَفْهَمُ حِكْمَتَهُ وحَقِيقَتَهُ مِنْ تَقْدِيرِ اللهُ؛ فَمِنْ  
 الحِجَمِ ما لا يَسْتَوْعِبُهُ العَقْلُ؛ فالعقلُ كالإناءِ،  
 وبعضُ الحِجَمِ كماءِ البَحْرِ لا يَحْتَوِيهَا، ولو  
 أُفِيضَتْ عليه، لَطَوَّنَتْهُ وَحَيَّرَتْهُ.

وَبَعْضُ الْحَكَمِ لَا يَزِيدُهَا طَوْلُ التَّأْمَلِ فِيهَا  
إِلَّا حَيْرَةً؛ كَالْبَصْرِ لَا يَزِيدُهُ طَوْلُ النَّظْرِ لَشَمْسِ  
الظَّهْرِ إِلَّا أَلْمًا وَتَحِيرًا.



## فَضْلُ حَادِي عَشَرَ

الموت حَقٌّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيَّهَا فَإِنَّ ﴿٢٦﴾ وَيَبْعَى وَجْهَهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وَمِنَ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِمَا يَكُونُ بَعْدَهُ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ.

• وَالْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، وَالشَّاكُّ فِي ذَلِكَ كَافِرٌ بِاللَّهِ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي عَلَيْكُمْ فَأَسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينِينَ﴾ [الجاثية: ٣١، ٣٢]. فَضلاً عَنِ الْمُكَدِّبِ بِالْآخِرَةِ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١].

• ومن الإيمانِ: الإيمانُ بالحِسابِ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

• والإيمانُ بالشوَابِ والعِقَابِ، والجَنَّةِ والنارِ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]، وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ﴾ [هود: ١٠٨].

والكُفَّارُ في النارِ، والمؤمنونَ في الجَنَّةِ؛ كما قال اللهُ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَبَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٦، ٥٧].

• والإيمانُ واجبٌ بكلِّ ما ثبتَ به النصُّ، مِنْ أمرِ الآخرةِ؛ كالصِّراطِ، والمِيزانِ والحَوْضِ، وصحائفِ الأعمالِ مِنَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ.





## فَضْلٌ ثَانِيٌّ عَشَرَ

وَالْتَمَسْكَ بِالْجَمَاعَةِ وَاجِبٌ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا  
بِإِمَامٍ.

وَيُطَاعُ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ: ﴿يَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾  
[النساء: ٥٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْكُمْ﴾؛ **يَعْنِي**: مِنْ  
الْمُسْلِمِينَ.

وَلَا تَصِحُّ إِمَامَةٌ كَافِرٍ، وَلَا بَيْعَتُهُ، وَلَا تَجِبُ  
طَاعَتُهُ إِلَّا بِمَا تَسْتَقِيمُ بِهِ دُنْيَا النَّاسِ لَا دُنْيَاهُ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَلِيُّ الْأَمْرِ عَالِمًا، اتَّخَذَ  
عَالِمًا لِيَسْتَقِيمَ أَمْرُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ  
أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى  
الرَّسُولِ وَالْإِلَى الْأُولَى الْأَمْرُ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ

مِنْهُمْ ﴿ [النساء: ٨٣] ؛ وَلَا يَسْتَنْبِطُ إِلَّا عَالِمٌ .

وَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ، وَلَا مَنَازَعَتُهُ أَمْرَهُ،  
وَيُضْبَرُ عَلَى جَوْرِهِ؛ مَا لَمْ يَأْتِ بِكُفْرٍ بَوَاحٍ بَيْنٍ؛  
فَفِي «الصَّحِيحِ»، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛  
أَنَّهُ قَالَ: «(إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ  
وَتُنْكِرُونَ؛ فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِيءٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ  
سَلِمَ؛ وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
أَلَا نَقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: (لَا! مَا صَلَّوْا)» (١) .

وَيُنْصَحُ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ، بِمَا يُزِيلُ الشَّرَّ أَوْ  
يُخَفِّفُهُ، لَا بِمَا يُشْبِعُ النُّفُوسَ تَشْفِيًّا مِنْهُ؛ فَفِي  
«الصَّحِيحِ»، عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ  
قَالَ: «(الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ:  
(لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ،  
وَعَامَّتِهِمْ)» (٢) .

(١) رواه مسلم (١٨٥٤) .

(٢) رواه مسلم (٥٥) .

ولا يجوزُ تَتَبُعُ عَوْرَتَهُ، وِفَضْحُ زَلَّتِهِ التِي  
تُخْصُهُ، وَإِذَاعَةُ مَثَالِيهِ وَذَنُوبِهِ؛ وَيُنْصَحُ فِي ذَلِكَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ نَفْسِهِ.

وَإِذَا شَرَعَ مُنْكَرًا لِلنَّاسِ، وَأَذَاعَهُ: فَإِنْ عَلِمَ  
أَنَّهُ إِنْ بَيَّنَّهُ لَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، رَجَعَ، وَأَنَابَ  
وَأَصْلَحَ -: تَعَيَّنَ عَلَيْهِ؛ وَإِلَّا فَيُبَيِّنُ ذَلِكَ الْمُنْكَرَ  
لِلنَّاسِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ وَاجِبُ نَصِيحَتِهِمْ، وَحَقُّ دِينِهِ  
وَدِينِهِمْ؛ حَتَّى لَا تُبَدَّلَ الشَّرِيعَةُ، وَيُغَيَّرَ الدِّينُ؛  
فَذَلِكَ مِنْ: (النَّصِيحَةُ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ،  
وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ)؛ وَهِيَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى  
حَقِّ غَيْرِهِمْ.

وَلَا يَنَأَى الْعَالِمُ بِنَفْسِهِ عَنِ شَأْنِ النَّاسِ،  
وَصَالِحِ أَمْرِهِمْ، وَزُهْدُهُ الْمَحْمُودُ فِي الدُّنْيَا: إِذَا  
كَانَتْ لِحَظِّ نَفْسِهِ، وَزُهْدُهُ فِي حَظِّ النَّاسِ فِي  
دُنْيَاهُمْ: غَيْرُ مَحْمُودٍ؛ فَلْيَنْتَصِرْ لِلْمَظْلُومِ وَلَوْ  
بِدِرْهَمٍ، وَلْيَسْتَطْعِمِ الْجَائِعَ وَلَوْ بِتَمْرَةٍ؛ لِأَنَّ لِلْعَالِمِ

وَلَايَةً، وَإِصْلَاحُ دُنْيَا النَّاسِ بَابٌ لِإِصْلَاحِ دِينِهِمْ؛  
فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ لِكُنُوزِ الدُّنْيَا، وَمَعَ ذَلِكَ  
يَتَّصِرُ لِبَرِيرَةٍ وَغَيْرِهَا فِي دُنَانِيرَ يَسِيرَةٍ، وَيَخْطُبُ فِي  
النَّاسِ فِي ذَلِكَ.



## فَصْلٌ ثَالِثٌ عَشَرَ

وَالجِهَادُ مَاضٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ لَا يُرْفَعُ حُكْمُهُ مِنَ الْأَرْضِ يَوْمًا مَا بَقِيَ الْقُرْآنُ؛ فَفِي «الصَّحِيحِ»، عَنْ جَابِرٍ؛ قَالَ ﷺ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) <sup>(١)</sup>.

وَلَا يُشْتَرَطُ لِجِهَادِ الدَّفْعِ إِذْنُ إِمَامٍ، وَلَا تَحَقُّقُ نِيَّةٍ إِلَّا رَفَعَ الْأَذَى وَدَفَعَهُ؛ وَهُوَ وَاجِبٌ وَلَوْ كَانَ لِدَفْعِ عَنِّ عَرَضٍ، أَوْ نَفْسٍ، أَوْ مَالٍ؛ فَفِي «السُّنَنِ»: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ، أَوْ دُونَ دَمِهِ، أَوْ دُونَ دِينِهِ، فَهُوَ شَهِيدٌ) <sup>(٢)</sup>؛

(١) رواه مسلم (١٥٦).

(٢) رواه من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (٤٠٩٥)، وابن ماجه (٢٥٨٠) مختصرًا. قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

وهو في «الصحيح»<sup>(١)</sup> مُخْتَصَرٌ.

وَيَجِبُ دَفْعُ الصَّائِلِ عَلَى الْعَرَضِ وَالنَّفْسِ  
وَالْمَالِ، مُشْرِكًا كَانَ الصَّائِلُ أَوْ مُسْلِمًا؛ ففِي  
«النَّسَائِيِّ»، عَنْ قَابُوسٍ، عَنْ أَبِيهِ؛ قَالَ: «جَاءَ  
رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: الرَّجُلُ يَأْتِينِي يُرِيدُ  
مَالِي؟ قَالَ: (ذَكَرَهُ بِاللَّهِ)، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ؟  
قَالَ: (فَاسْتَعِنَ عَلَيْهِ مَنْ حَوْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)،  
قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَوْلِي أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟  
قَالَ: (فَاسْتَعِنَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ)، قَالَ: فَإِنْ نَأَى  
السُّلْطَانُ عَنِّي؟ قَالَ: (قَاتِلْ دُونَ مَالِكَ؛ حَتَّى تَكُونَ  
مِنْ شُهَدَاءِ الْآخِرَةِ، أَوْ تَمْنَعَ مَالَكَ)»<sup>(٢)</sup>.

وَتَجِبُ فِي جِهَادِ الطَّلَبِ النَّيَّةُ لِإِعْلَاءِ

(١) «صحيح البخاري» (٢٣٤٨)، و«صحيح مسلم» (١٤١)

من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) رواه النسائي (٤٠٨١)، وابن أبي شيبة (٢٨٠٤٣)،

وأحمد (٢٢٥١٤)، والطبراني في «الكبير» (٣١٣/٢٠).

كَلِمَةِ اللَّهِ؛ ففي «الصحيح»، عن أبي موسى الأشعري؛ أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ؛ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ أَعْلَى، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)»<sup>(١)</sup>.

وتجِبُ طَاعَةُ الْإِمَامِ فِيهِ، لَهُ يُسْمَعُ وَيُطَاعُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ ففي «الصحيح»؛ قَالَ ﷺ: (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي)<sup>(٢)</sup>.



(١) رواه البخاري (١٢٣، ٢٦٥٥)، ومسلم (١٩٠٤).

(٢) رواه البخاري (٦٧١٨)، ومسلم (١٨٣٥) من حديث

أبي هريرة رضي الله عنه.





## فصلٌ رابعٌ عَشْرٌ

وخيَّرَ الناسَ بعدَ الأنبياءِ: صحابَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ،  
 وفي فَضْلِهِمْ جاءَ الوَحْيُ؛ قالَ تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولٌ  
 اللَّهِ الَّذِيْنَ مَعَهُ أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ  
 رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وكما أنَّ الأنبياءَ يتفاضلون، فالصحابَةُ  
 يتفاضلون، وأقلُّ الأنبياءِ منزلةً أفضلُ من أعلى  
 الصحابةِ منزلةً، وأقلُّ الصحابةِ منزلةً أفضلُ من  
 أعلى التابعينِ منزلةً.

وأفضلُ الصحابةِ: السابقون الأُولون؛ لأنَّ  
 مَنْ آمَنَ بالنبِيِّ ﷺ زَمَنَ الضعفِ أقربُ مِمَّنْ آمَنَ  
 به زَمَنَ القُوَّةِ، فمَنْ آمَنَ قَبْلَ الفَتْحِ أفضلُ ممنْ آمَنَ  
 بعده:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا﴾ [الحديد: ١٠]، ويشترك معهم في فضل الصُّحْبَةِ مَنْ آمَنَ بَعْدَ الْفَتْحِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال: ﴿وَالسَّيِّفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهِجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وأفضل السابقين: العشرة المبشرون بالجنة، وأفضلهم: الخلفاء الأربعة، ثم: مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، ثم: مَنْ شَهِدَ أُحُدًا، ثم: مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وفي الصحيح عن جابرٍ: قال رسولُ الله ﷺ لأهل

الشجرة: (أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ) <sup>(١)</sup> وكانوا ألفاً وأربعمائة.

والصحابَةُ حَمَلَةُ الْوَحْيِ وَنَقَلَةُ الدِّينِ، وَالطَّعْنُ فِيهِمْ قَطْعٌ لِإِسْنَادِ الدِّينِ، وَتَشْكِيكٌ فِي سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ؛ فَهُمْ الْأَمَانُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ فِيهِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ قَالَ ﷺ: (أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ) <sup>(٢)</sup>.

وَلَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ خَطُّوهُمْ ذَرِيعَةً لِلطَّعْنِ فِيهِمْ، وَيَتَجَنَّبُ إِحْيَاءُ الْخِلَافِ الَّذِي وَقَعَ بَيْنَهُمْ إِلَّا مَا يُؤْخَذُ مِنْهُ مِنْ فِقْهِ وَاعْتِبَارِ، فَيُنْظَرُ فِيهِ مَعَ إِجْلَالِ وَاعْتِدَارِ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ وَإِنْ اخْتَلَفُوا أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِمْ وَإِنْ ائْتَفَقُوا؛ لِأَنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُمْ لِحُسْنِ صُحْبَتِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ، لَا لِمُجَرَّدِ صُحْبَةِ أَحَدِهِمْ لِلآخَرِ، فَاخْتِلَافُهُمْ بَيْنَهُمْ

(١) «صحيح البخاري» (٤١٥٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٣١).

اجْتِهَادٌ يُؤَجِّرُونَ عَلَيْهِ وَلَوْ أَخْطَؤُوا، وَالْخِلَافُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ظُلْمٌ بَرَّأَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، بَلْ صَحِبُوهُ وَأَحْسَنُوا، وَبِهِ فَضَّلُوا عَلَى غَيْرِهِمْ.

وَالْوَقِيعَةُ فِي الصَّحَابَةِ بَابٌ إِذَا فُتِحَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ انْفَتَحَ عَلَى الْبَاقِينَ؛ وَلِهَذَا أَمَسَكَ عَمَّا وَقَعَ بَيْنَهُمُ التَّابِعُونَ وَأَتْبَاعُهُمْ؛ فَقَدْ سُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ، وَالْجَمَلِ وَصِفَيْنِ، وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «تَلَكْ دِمَاءٌ كَفَّ اللَّهُ يَدِي عَنْهَا، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَعْمَسَ لِسَانِي فِيهَا»<sup>(١)</sup>.

وَلَنْ يُسْأَلَ مَنْ بَعْدَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ خِلَافِهِمْ، وَإِنَّمَا يُسْأَلُ عَنِ التَّصَدِيقِ بِفَضْلِهِمْ.



(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى» (٣٩٤/٥)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٣٣/٦٥).

## فَضْلُ خَاسِرٍ عَشْرٍ

وَلَا تُكْفِرُوا أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ إِلَّا  
بِالْكُفْرِ .

ومن الكفر: سبُّ الله .

وَسَبُّهُ: أَعْظَمُ مِنَ الشُّرْكِ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمُشْرِكَ لَمْ  
يُنزَلِ اللَّهُ إِلَى رُتْبَةِ الْحَجَرِ، وَإِنَّمَا رَفَعَ الْحَجَرَ إِلَى  
رُتْبَةِ اللَّهِ: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٩٧) إِذْ  
نُسِّوَكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، وَمَنْ سَبَّهُ  
أَنْزَلَهُ دُونَ رُتْبَةِ الْحَجَرِ!

وَسَبُّهُ: كُفْرٌ عَظِيمٌ؛ وَالْكُفْرُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛  
كَالْإِيمَانِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي  
الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]؛ وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ

وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿ [آل عمران: ٩٠] . ولكنَّ  
 زيادته ونقصانه لا تُخرجه من النار؛ وإنما تُغلظ  
 عذابه أو تُخففه؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا  
 وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا  
 كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] .

ولا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ بِعَيْنِهِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ؛ إِلَّا مَنْ  
 شَهِدَ اللَّهُ لَهُ وَرَسُولُهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مَنْ مَاتَ مُؤْمِنًا،  
 فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ مَاتَ كَافِرًا، فَهُوَ مِنْ  
 أَهْلِ النَّارِ.



## فَضْلُ سَائِسِ عَشْرٍ

وحقيقة الحُرِّيَّةِ؛ هي: التَّجَرُّدُ مِنْ عُبُودِيَّةِ  
 كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا اللَّهَ، وَفَهُمُ الحُرِّيَّةِ بِأَنَّهَا الخُرُوجُ عَنِ  
 أَمْرِ اللَّهِ: وَثَنِيَّةِ النَّفْسِ، وَعُبُودِيَّةِ الهَوَى؛ قَالَ اللَّهُ:  
 ﴿أَفْرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ  
 عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ  
 بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وَمَنْ سَوَّغَ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَ وَيَقُولَ مَا شَاءَ،  
 - كَمَا شَاءَ، وَمَتَى شَاءَ - : فَهُوَ يُقَرُّ بِعُبُودِيَّتِهِ لِهَوَاهُ  
 وَشَيْطَانِهِ؛ فَالِإِنْسَانُ خُلِقَ عَبْدًا؛ فَإِنْ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ،  
 أَصْبَحَ عَبْدًا لِغَيْرِهِ؛ وَلَا بُدَّ!

وَلَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ لَمْ  
 يَفْرِضِ اللَّهُ عَلَيْهِ حَدَّ القَتْلِ والقَذْفِ والزَّنى،  
 وَلَا غَضَّ البَصْرِ عَنِ العُورَاتِ، وَلَا المَوَارِيثَ،

وَلَمْ يُحَرِّمَ عَلَيْهِ الزَّنى وَالرِّبَا وَغَيْرَهُمَا، وَإِنَّمَا  
فَرَضَهَا لوجودٍ غَيْرِهِ مِنْ جِنْسِهِ مَعَهُ، فَإِذَا زَادَ غَيْرُهُ  
عَدَدًا، زَادَتِ الْحَيَاةُ ضَبْطًا، وَلَوْ كَانَ الْقَمَرُ  
وَحَدَّهُ، مَا جَعَلَهُ اللهُ يَسْبَحُ بِهَذَا النِّظَامِ إِلَّا لِيَنْضَبِطَ  
مَعَ سَيْرِ الشَّمْسِ وَالْأَرْضِ وَالنُّجُومِ، وَكَلَّمَا زَادَتِ  
الْأَفْلَاكُ عَدَدًا، زَادَتْ ضَبْطًا.

قال تعالى: ﴿يُعْشَى آلِيلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثًا  
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ  
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا  
أَلِيلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وقد جاءت أحكام الإسلام لِضَبْطِ الدِّينِ  
وَالدُّنْيَا، وَمَنْ سَوَّغَ لِنَفْسِهِ الْخُرُوجَ عَنِ حُكْمِ اللهِ،  
اسْتَحَقَّ عِقَابَهُ.

وَالدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ حَتْمٌ، وَالْخُرُوجُ عَنْهُ  
رِدَّةٌ: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ



فَأُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿﴾ [البقرة: ٢١٧].  
 وثبت في «الصحيح» وغيره: قوله ﷺ: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ، فَاقْتُلُوهُ) <sup>(١)</sup>.

والعُبُودِيَّةُ لله: غَايَةُ الخَلْقِ والوجودِ، وَمَنْ جَوَّزَ الخُرُوجَ عنها، فهو لا يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا غَايَةُ الإيجادِ؛ فلا يُجَوِّزُ الخُرُوجَ عن نِظَامِ الدنْيَا دَوْلَةً وقانونًا، وَيُجَوِّزُ الخُرُوجَ عَن عِبَادِيَّةِ الله! وهذا إقرارٌ باطنٌ بِضَعْفِ غَايَةِ إيجادِ الخَلْقِ، أو زواله مِنْ قلبه، والله يقولُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَمَنْ أَوْجَدَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ فِي الدُّنْيَا لِعِبَادَتِهِ،  
 يوجِدُهُمْ فِي الْآخِرَةِ لِحَسَابِهِ وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ،  
 أَصْلَحَ اللهُ لَنَا الْحَالَ وَالْمَالُ!  
 وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّهِ وَمَنْ اتَّبَعِ

(١) رواه البخاري (٢٨٥٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.



## الفهرس

الموضوع	الصفحة
* مقدمة .....	٥
فصلٌ أوَّل: في أنَّ الإسلامَ هو دينُ الأنبياءِ ودينُ	
الحقِّ الباقي المَحْفُوظُ .....	٩
فصلٌ ثانٍ: في أنَّ تفسيرَ ما أتى به اللهُ في كتابه	
يكونُ بالسُّنَّةِ وفَهْمِ الصحابةِ والقياسِ الصحيحِ عليهما .	١٣
فصلٌ ثالثٌ: في حقِّ اللهُ على العبادِ، وأنَّ للمُشْرِكِ	
النارَ، وعدمِ منافاةِ ذلكَ لِنُفْعِهِ الدُّنْيَوِيِّ .....	١٧
فصلٌ رابعٌ: في الإيمانِ والكُفْرِ والتَّفَاقِقِ، وأيُّ مالٍ	
هو المُحْتَرَمُ، ومَنْ يُكْفَرُ، وحكمِ الجاهلِ قُصُورًا، أو	
تقصيرًا وإعراضًا .....	١٩
فصلٌ خامسٌ: في حقيقةِ الإيمانِ وتَرْكِبِها، وأنه يَزِيدُ	
ويُنْقُصُ، وبماذا يَبْتُغَى، ومَنْ يُعْذَرُ .....	٢٥
فصلٌ سادسٌ: في أسماءِ اللهُ وصفاته بينَ النَفْسي	
والإثباتِ، والاستواءِ والمشيئةِ، وهل تُقاسُ صفاته	
على غيرِه .....	٣١

- فصلٌ سابعٌ: في كلامِ الله، وأنَّ منه القرآنَ ولو كان  
 مسموعاً أو مسطوراً، وحكمِ القائلِ بخلقه ..... ٣٧
- فصلٌ ثامنٌ: في العَلاقةِ بينِ العَقلِ والتَّقلِّ ..... ٤١
- فصلٌ تاسعٌ: في تشريعِ اللهِ الدينيِّ والدُّنيويِّ وأنَّهُما  
 سواءٌ، وأنَّ الشرعَ نَزَلَ لإصلاحِ كلِّ العصورِ،  
 والاجتهادِ في غِيَابِ دلالةِ النَّصِّ ..... ٤٥
- فصلٌ عاشيرٌ: في قضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ، والمشيئةِ والإرادةِ،  
 والأسبابِ ..... ٥١
- فصلٌ حادي عشرٌ: في المَوْتِ، والبَعْثِ والنُّشُورِ،  
 والحِسابِ، والثوابِ والعقابِ، وأمورِ الآخرةِ ..... ٥٥
- فصلٌ ثاني عشرٌ: في الجماعةِ، والإمامِ وطاعتهِ،  
 وشروطِ ولَايَتهِ، وحُكْمِ الخروجِ عليه، وحَقُّه على  
 رَعِيَّتهِ، ومكانِ العلماءِ منه ..... ٥٧
- فصلٌ ثالث عشرٌ: في الجهادِ وأنواعِهِ وشروطِهِ، والنِّيَّةِ  
 فيه، وطاعةِ الإمامِ ..... ٦١
- فصلٌ رابع عشرٌ: في فَضْلِ الصحابةِ وتفاضُلِهِم،  
 وبيانِ أَفضَلِهِم، ومالِ الطَّعْنِ فيهِم، وواجِبينا نحوَ  
 ما شَجَرَ بَيْنَهُم ..... ٦٥

- فصلٌ خَامِسَ عَاشَرَ: في الحكم  
 بالكفرِ وموجِبِهِ، والشهادةِ للمُعَيَّنِ بالجنَّةِ والنارِ ..... ٦٩
- فصلٌ سَادِسَ عَاشَرَ: في العُبُودِيَّةِ وحقيقتِ الحُرِّيَّةِ وحَدُّهَا ... ٧١
- \* الفهرس ..... ٧٥

## صدر عن الدار للمؤلف

- ❖ صفة صلاة النبي ﷺ.
- ❖ صفة حجة النبي ﷺ.
- ❖ المسائل المهمة في الأذان والإقامة.
- ❖ التقرير في أسانيد التفسير.
- ❖ العقلية الليبرالية في رصف العقل.. ووصف النقل..
- ❖ أذكار الصباح والمساء (رواية ودراية).
- ❖ الموجز في صفة صلاة النبي ﷺ وصيامه واعتكافه.